الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

السبت 15 ربيع الاول 1424 هـ 17 مايو 2003 العدد 8936

لماذا استهداف الأميركيين والبريطانيين تحديداً؟

بسام أبو شريف

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

عشية وصول كولن باول للسعودية شنت مجموعة من المتطرفين هجوما على ثلاثة مواقع سكنية، خاصة بالاجانب في مدينة الرياض، هذه العمليات مدانة تماما لأنها تماثل في خلفيتها واسلوبها ما تفعله قوات الاحتلال الاميركية بالعراقيين. والحقيقة ان الارهاب ونتائجه متماثلة حيثما يحصل الارهاب. وانا اتفق تماما مع ما جاء في كلمة الامير عبد الله بن عبد العزيز تعقيبا على هذه العمليات المدانة. فمهما كان الدافع ومهما كانت المبررات فإن هذه الاعمال هي من طبيعة ما تقوم بها القوى الفاشية والمجرمة بحق الشعوب، كما تفعل القوات الاسرائيلية المحتلة، وكما تفعل القوات الاميركية البريطانية المحتلة في العراق.

بعد تأكيد ادانة هذه العمليات الاجرامية التي لا تخدم هدفا سياسيا، مشروعا، لا بد ان يطرح سؤال هام من اجل وضع حد لمثل هذه الاعمال المدانة. اذ دون معرفة الاسباب الكامنة وراء هذه الاعمال لا يمكن وضع حد لها بالاساليب الامنية وان كانت شديدة ومشدودة وقاسية.

لماذا يستهدف هولاء المتطرفون الاميركيين والانجليز بهذه الوسائل الدموية؟ لماذا هذا الحقد وهذه الكراهية؟ تماما كما نسأل السؤال لماذا يستهدف بعض التنظيمات المدنيين الاسرائيليين في مطاعمهم وحافلاتهم ومحطات قطاراتهم؟؟ لا بد ان هنالك اسبابا لا تمت لصلة بالعوامل الآيديولوجية، والدينية او حتى الفاشية.

ليس تبريراً لأي عمل ارهابي، وانما اعتقد انه الكبت العميق والمتراكم على مدى عقود، بسبب الاضطهاد والظلم وفقدان العدالة التي تمارسها الدول الغربية ضد شعوبنا العربية والاسلامية. ولا شك ان ملازمة الشعور بالاحباط نتيجة موازين القوى المحتلة لصالح الاجنبي مع الشعور بالكبت ولد حالات من الانفجار في اكثر من مكان في العالم والخشية ان استمرار الكبت والاحباط نتيجة الظلم وفقدان العدالة ومساندة لا محدودة لاسرائيل، سوف يراكم الانفجارات في الشرق الأوسط، لتصبح ظاهرة عامة بعد ان اصبحت حوادث متكررة في اكثر من مكان. ولا يوجد في ذهني ادنى شك بأن الدعم اللامحدود الذي تقدمه الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة لاسرائيل المعتدية والمحتلة، اضافة للعامل التاريخي الذي فرضه الغرب (واساسا تحالف سلطات الانتداب البريطاني والولايات المتحدة الأميركية) في فرض قيام دولة يهودية على ارض فلسطين، بغير وجه حق، ونتيجة لسيطرة القوة وشراء الحركة الصهيونية لمواقف هذه الدول بالمال، لا شك في انها تشكل عوامل عميقة الجذور للشعور بالكبت والاحباط والنتائج الوخيمة لاختلال ميزان القوى بين الغرب والشعوب العربية والاسلامية.

وهذا ينطبق على مناطق عديدة من العالم: ومثال على ذلك ما خلفه البريطانيون بعد احتلالهم للهند والباكستان من مشكلة مزمنة في كشمير.

وما خلفه سايكس بيكو من مشاكل ما زالت عالقة حتى اليوم عندما قرروا تقسيم المنطقة العربية حسب مصالح فرنسا وانجلترا.

وما خلفه البريطانيون عندما سمحوا بالهجرة اليهودية الواسعة وتسليح العصابات الصهيونية ومغادرة فلسطين، التي سلمت لهم من قبل الامم المتحدة كوديعة لتهيئتها للاستقلال.

ولا بد لنا هنا من ان نشير الى ان هذه الحقائق التاريخية الظالمة فعلت فعلها في اذكاء الحقد والكراهية والشعور بالكبت والاحباط لدى الشعوب العربية والاسلامية، لكن الذي اضاف تراكما واحباطا لدى الشعوب هذه، هو شعورها بأن دولها لم تستخدم ما لديها من قدرات وطاقات لرفع الظلم والضغط باتجاه نصرة العدالة والحق للشعوب المظلومة.

ليس هذا فقط بل ان صمت هذه الدول على الجرائم التي ترتكبها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، وعدم اثارة تطبيق قرارات الشرعية الدولية، وضرورة استخدام مقياس واحد للتعامل مع هذه القرارات شكل عاملا آخر من عوامل الكبت والشعور بالاحباط والضعف. والضعفاء يبحثون دائما عن وسائل يمكن لهم الحصول عليها لتحقيق اهدافهم في وجه القوى المتفوقة عسكريا وتكنولوجيا.

وربما هذه هي المقولة التي تستند لها حماس والجهاد الاسلامي لشن العمليات المدانة ضد المدنيين الاسرائيليين. وقد تكون هذه مقول تنظيمات اخرى كتلك التي تقاتل في كشمير، او تنظيم القاعدة.

فالأمر لا يمت للاسلام ومبادئه بصلة بل نابع من كبت عميق واحباط اعمق وقهر من عدم تحرك الدول، حيث تعيش هذه الشعوب لنصرة العدالة والحق. وفوق هذا وذاك ترى الشعوب ان الادارة الاميركية التي تجيز لنفسها حق تدمير العراق للتخلص من نظام ديكتاتوري عربي يسيطر على أكبر مخزون نفط في العالم، لا تعرف انها مكشوفة تماما امام افقر مواطن في الدول الاسلامية والعربية. هؤلاء الفقراء لا يحبون النظام الديكتاتوري لكنهم (وهذا ما يجب ان تفهمه اميركا وانجلترا) لا يحبون الادارة الاميركية والحكومة الانجليزية. والسبب بسيط فهم يرون كيف تضرب هذه الدول بعرض الحائط القانون الدولي لتحلل لنفسها السيطرة على ثروات الشعوب. وفي الوقت ذاته تبذل هذه الدول كل المستطاع لمساندة الاحتلال الاسرائيلي، للارض الفلسطينية وتغطية كل جرائم الحرب التي ترتكب ضد هذا الشعب، ليس هذا فحسب فهؤلاء الفقراء يهزأون بكلام الادارة الاميركية والحكومة الانجليزية الذي برر تدمير العراق، بعدم التزام العراق بتطبيق قرارات مجلس الامن (رغم ثبوت خلو العراق من اسلحة الدمار الشامل بعد تدميره واحتلاله). وانهم يرون في الوقت ذاته هذه القوى تساند الاحتلال الاسرائيلي وعدم تطبيق اسرائيل لقرارات مجلس الأمن منذ ستة وثلاثين عاما اي منذ حزيران عام 1967.

ونضيف الى ذلك، ان هؤلاء المظلومين، يرون رغم كل وعود الرئيس بوش، ان استئساد الادارة الاميركية على سوريا ولبنان يقابله «ارنبة خالصة» امام شارون.

حتى ان الصفعات التي وجهها شارون لوزير الخارجية كولن باول مرت مرور الكرام ليواجه رئيس الحكومة الفلسطينية ابو مازن في اليوم التالي تحذيرا من باول بأن عليه ان يشن حربا اهلية ضد حماس والجهاد الاسلامي، ان هو اراد ان تبذل الادارة الاميركية جهدها لاخذ موافقة شارون على «خريطة الطريق».

وما هي خريطة الطريق؟

انها الخريطة التي تبدأ بضرورة اشعال حرب اهلية فلسطينية دون ان تكون الدولة الفلسطينية الموعودة واضحة المعالم. ولا يظن الاميركيون ان المواطن الفلسطيني والعربي غائبان عما تعني هذه الضبابية حول الهدف. خريطة الطريق هي تلك الخريطة التي رسم شارون نهاياتها.

فقد اعلن انه يوافق على اقامة دولة فلسطينية، ولكن اي دولة وما هي حدودها ومقدار سيادتها وسيطراتها على حدودها، ومساحتها؟؟

هذه هي اسباب الكبت والاحباط والشعور بأن الولايات المتحدة مستمرة في دعم اسرائيل واحتلالها للأراضي العربية واصرارها على قمع الفلسطينيين وتدمير حياتهم.. وربما ترحيلهم عن ارضهم.

الا تفهم الادارة الاميركية ذلك. ان العدالة قيمة انسانية عالية لا يمكن تجزئتها. والسلام لا يمكن ان يفرض بالدبابات والطائرات بل بتحقيق العدالة التي تجلب السلام والاستقرار.

مرة أخرى هذه الاعمال الارهابية مدانة، لكن الاحتلال مدان ويجب ان يقاوم، لأن الاستعباد ليس خيارا من خيارات الشعوب الحية.

مشاركة >> <
Tweet

بريـد طبـاعة